فى قرية شفيندى لا يعرفون ذلك لأن الحكومة فى برن ليست حكومة لصوص. إنهم ناس أشراف يحترمون الشعب والأخلاق. وهايدى لها جد يعيش وحده بعيدا فوق القرية. إنه رجل ممرور من الحياة ولهذا فهو يعيش وحده فى كوخ على بعد كيلو متر من القرية. هايدى هى أجمل شىء فى حياته.. إنه يحبها والبنت الصغيرة تحبه ولا تريد فراقه.

ولكن أهل القرية لا يحبون هذا الرجل لأنه انسان منعزل. يقولون أنه فى شبابه أيام كان يعيش فى الدنيا مع الناس ويكافح فى سبيل العيش يقولون إنه قتل رجلا، ولم تثبت عليه التهمة فبرأوه. هذا فى رأى أهل القرية سبب اعتزاله للدنيا ولكن هذا الرجل رجل طيب جدا. ولكن هذه الطيبة لا تمنع من القتل، لأن الذين يقتلون ليسوا غير الطيبين فقط لأن القتل – بالنسبة لأى انسان عمل غير عادى – يتم فى ظروف يكون الانسان فيها خارج نفسه، خارج انسانيته. والقتل يتم فى الغالب فى لحظة غيظ وهو يتم فى لحظة والقاتل نفسه لا يدرى فى معظم الأحوال كيف قتل هذا لا ينطبق طبعا على حالات التدبير والتربص لأسباب يعرفها القاتل جيدا مسألة القتل للثأر أو للانتقام للشرف أو للاستيلاء على الأموال هذه حالات تخرج عما نحن فيه لأننا نتكلم عن القتل الذى يقوم به رجل طيب أو غير طيب.. فى ظروف يخرج فيها عن سيطرة نفسه. بعد القتل مباشرة يبدأ الندم. وقد يكون جد هايدى قد قتل كما يزعم الناس، ولكنه على أى حال يكفر عن جريمته بهذه العزلة التى يعيش فيها فى أعلى الجبل فى منطقة يدوم الشتاء والثلج فيها عشرة شهور فى العام. لا يمكن أن يكون هناك سجن أقسى من هذا.

هذا الرجل يعمل بيديه كل شىء لنفسه.. إنه نجار وحداد وخباز وصانع جبن.. وكل شىء يعمله باتقان بعض الأشياء يصنعها ليبيعها ليشترى بثمنها الأشياء القليلة التى يحتاج إليها ولا يستطيع إنتاجها مثل الدقيق. فهنا لا ينبت القمح، والرجل يشتريه من القرية ويخبزه هنا.